

## الخطاب التاريخي عند محمد حربي والعوامل المؤثرة فيه.

أ. / رابع لونيبي

تمهيد حول الموضوعية و الذاتية في الخطاب التاريخي:

يسود نقاش حاد حول مدى موضوعية البحث في العلوم الإنسانية، وقد أخذ البحث في التاريخ حصة معتبرة في هذا النقاش، وانقسمت الآراء بين من يعتبره علما كاملا مادام أنه يمتلك منهاجا علميا يسمح لنا بالوصول إلى الحقيقة وإعادة بناء الواقعة التاريخية وتفسيرها تفسيراً علمياً، و نجد في مقابل أصحاب هذا الطرح من يقول أنه ليس علما رغم المنهج العلمي الذي يمتلكه، و يستند هؤلاء في طرحهم على وجود عوامل ذاتية تؤثر تأثيراً بليغاً على المؤرخ وتفقد بجنته الموضوعية و العلمية بشكل أو بآخر<sup>(1)</sup>. وأن كنا لا ننفي ذلك إلا أن هذه العوامل الذاتية التي تشكل عوائق إبستمولوجية بالنسبة للباحث في التاريخ نجدها موجودة في كل العلوم بما فيها العلوم الدقيقة، إلا أنها تختلف في درجة تأثيرها من علم إلى آخر، و تفرض هذه

النسبية العلمية البحث المستمر و الدائم في نظريات المعرفة و تطوير مناهج البحث العلمي في كل العلوم سواء كانت علوما إنسانية أو دقيقة، و أن هذا التطوير المستمر هو الكفيل بتحطيم أكبر قدر ممكن من العوائق المعرفية و الإستمولوجية مما يسمح لنا بالوصول أو إكتشاف الجزء الأكبر من الحقيقة العلمية، و ينطبق ذلك على العلوم كلها و منها البحث في التاريخ.

فبالنسبة للبحث في التاريخ، فإنه كلما أستخدمنا أكبر قدر ممكن من المصادر القيمة سواء كانت مادية كالآثار أو مخطوطة كالوثائق و المذكرات و حتى الشهادات كلما أقتربنا من إعادة بناء الواقعة التاريخية و تفسيرها و تحليلها تحليلا عميقا، لكن ذلك غير كاف بل يجب إنجاز أكبر عدد من البحوث حول نفس الواقعة يقوم بها مؤرخون يختلفون فيما بينهم من ناحية

\*- أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران السانية.

الظرف والإنتماء الزماني و المكاني، و بتعبير أدق لم يعيشوا في أمكنة و أزمنة واحدة، كما يجب أن يكونوا مختلفين أثناء القيام ببحوثهم من ناحية السن أي نجد ضمنهم شبابا و كهولا و شيوخا، كما يشترط أيضا الإختلاف فيما بينهم من ناحية الإلتماءات الطبقية و الإيديولوجية و الثقافية، وكذلك من ناحية القرب و البعد الزماني و المكاني و الروحي من الواقعة دون أن ننسى الأخذ بعين الإعتبار ضرورة التباين في علاقاتهم بمختلف السلطات السياسية و الإقتصادية و الدينية القائمة في فترات القيام ببحثهم.

إن قيامنا بهذا العمل يقربنا بشكل كبير من الحقيقة التاريخية، لأنه من المؤكد أن يقع إجماع على بعض القضايا التي تخص الواقعة التاريخية التي نحن بصدد البحث فيها رغم إختلاف العوامل الذاتية بين مختلف هؤلاء الباحثين، أما القضايا المختلف حولها فعلينا أن نبحث في مدى تأثير العوامل الذاتية على كل واحد من المؤرخين الذين قاموا بالبحث في هذه الواقعة التاريخية التي نريد إعادة بنائها و فك ألغازها، و بذلك نقرب أكثر من الحقيقة، وكلما تواصلت عملية البحث في الواقعة ثم إعادة النظر في بنائها من جديد كلما أقتربنا أكثر فأكثر من الحقيقة حتى نصل إلى الحقيقة التاريخية النهائية. فعملية الوصول إلى الحقيقة التاريخية في هذه العملية الأخيرة تشبه إلى حد ما عملية الوصول إلى الحقيقة المطلقة عند هيغل و المتمثلة في الجدلية بين الأطروحة و نقيض الأطروحة التي يتولد عنها المركب الذي سينتج نقيضه و هلم جرا حتى نصل إلى الفكرة المطلقة(2).

أن عملية البحث في مدى تأثير العوامل الذاتية على الكتابة التاريخية أصبحت اليوم أكثر من ضرورة في عملية تطوير منهج البحث في التاريخ، ويجب أن تصبح هذه العملية علماً لذاته يقوم بعملية نقد وتفكيك لأي بحث تاريخي منجز، وتركز هذه العملية على الباحث المؤرخ ومدى تأثير نفسيته وحياته وانتمائه الطبقي والإيديولوجي والثقافي على بحثه التاريخي والنتائج التي توصل إليها، ونستعين في ذلك بمختلف العلوم وبخاصة علم النفس، بالإضافة إلى المناهج الحديثة في تفكيك النصوص، كما يجب على الذي يقوم بهذه العملية أن يركز بشكل كبير على نقد المنهج العلمي الذي استخدمه المؤرخ في بحثه، بالإضافة إلى الإهتمام بشكل كبير على الظروف المحيطة بعملية البحث وبشكل أخص الظروف التي أحاطت به أثناء عملية الصياغة النهائية لبحثه. ولهذا السبب ومن أجل تطوير منهج البحث التاريخي وجعله أكثر موضوعية بنزع كل ما هو ذاتي عنه، يتوجب أن يرفق كل بحث في التاريخ بمعلومات وافية عن صاحب البحث بالتركيز على العناصر التي يمكن أن يكون لها تأثيراً سلبياً على موضوعية بحثه كالإنتماء الطبقي والإيديولوجي والفضاء الثقافي واللغوي والظروف المحيطة بعملية البحث والصياغة النهائية له وغيرها من العناصر الأخرى.

يعتبر هذا العلم الجديد الذي يمكن أن نطلق عليه علم نقد البحث التاريخي علماً ضرورياً للباحث المؤرخ، لأنه يساعده على ربح الوقت والتوظيف العقلاني للمراجع التاريخية التي يستخدمها دون العودة إلى التذكير بالمهمة الرئيسية لهذا العلم التي تطرقنا إليها آنفاً، والتي تتمثل في الفصل بين الموضوعية والذاتية في أي بحث تاريخي.

كي يكون أي بحث في التاريخ أكثر موضوعية يجب على الباحث ذاته أن يقوم بنفسه بعملية النقد العلمي الذاتي للبحث الذي أنجزه بداية من نقد المنهج الذي استخدمه مع الأخذ بعين الاعتبار العناصر الذاتية التي يمكن أن تؤثر في بحثه، ثم يعرض البحث المنجز على المختص في علم نقد البحث التاريخي للفصل أكثر بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي في هذا البحث، لكن رغم هذه العمليات كلها إلا أنه من المستحيل أن يصل البحث إلى درجة الموضوعية الكاملة شأنه في ذلك شأن كل العلوم سواء كانت إنسانية أم دقيقة، كما لا يجب أن يغيب عن ذهننا أن حتى الذي يقوم بعملية النقد العلمي للبحث يقع تحت تأثيرات عناصر ذاتية مثل الباحث المؤرخ ذاته.

وقبل شروعا في إعطاء نموذجاً بسيطاً عن مدى تأثير عناصر ذاتية ومنهجية في بحث تاريخي، علينا أن ننبه ونحذر من إمكانية إنحراف علم النقد العلمي للبحث التاريخي عن الهدف الذي وضع من أجله والمتمثل في خدمة البحث التاريخي، فيقبل عليه المؤرخون وينشغلون به بدل الإهتمام بالبحث في التاريخ ذاته بسبب صعوبة هذا الأخير وحاجته إلى الصبر وطول النفس مقارنة بعلم النقد العلمي للبحث التاريخي، فيتحول المؤرخون بذلك إلى الإجتراح واجترار الإجتراح كما وقع في عصر الإنحطاط الإسلامي عندما ساد الإجتراح حول كتب الفقه والتفسير التي أنجزها علماء كبار في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية.

وبعد هذا التمهيد المطول حول علم النقد العلمي للبحث التاريخي، والذي يحتاج إلى تعمق ونقاش أكبر، سنحاول الآن أن نقوم بعملية نقدية بسيطة لأعمال المؤرخ الجزائري محمد حربي من خلال محاولة إبراز مدى تأثير شخصيته ومسار حياته وانتمائه الأيديولوجي والطبقي والثقافي والمنهج العلمي الذي استخدمه والظروف المحيطة به على خطابه التاريخي سواء في سرده للوقائع أو في قراءته التاريخية لها. وقد أخذنا المؤرخ محمد حربي كنموذج لعدة أسباب ومنها أنه الأكثر إنتاجاً حول الثورة الجزائرية ومسار الحركة الوطنية التي مهدت لها من ضمن المؤرخين الجزائريين كلهم، و بغض النظر عن ذلك فهو الأكثر حرية من أغلب هؤلاء المؤرخين، بل يمكن لنا القول أنه يمثل بحق الخطاب التاريخي المعارض للخطاب التاريخي الرسمي للنظام الجزائري، وإضافة إلى ذلك كله فمحمد حربي هو المؤرخ الجزائري الوحيد الذي كتب على الأقل جزءاً من مذكراته إلى جانب المؤرخ أحمد توفيق المدني<sup>(3)</sup>. وقد سبق لنا أن قلنا أن السير الذاتية للمؤرخين هي من الأدوات الرئيسية في عملية النقد العلمي للبحث التاريخي، ولا داعي لنا للتذكير أن حتى هذه المذكرات والسير الذاتية تحتاج بدورها إلى تمحيص ونقد علمي، بل يمكن لنا أن نذهب أبعد من ذلك بهدف تطوير المنهج العلمي للبحث في التاريخ، فنوسع طريقة الجرح والتعديل من علم الحديث النبوي إلى علم التاريخ، ونطبقه على المؤرخ وصاحب المذكرات والشهادات كما يطبق على رواة الحديث في الماضي.

#### العوامل المؤثرة في خطاب محمد حربي التاريخي:

يمكن لنا أن نحدد خمس عوامل يمكن أن يكون لها تأثيراً على الخطاب التاريخي لمحمد حربي من ناحية إهتماماته واختياره للمواضيع وسرده للوقائع وقراءته التاريخية لها وتفسيرها

وتحليلها. وتتمثل هذه العوامل في شخصيته ومساره النضالي في حركة إسترجاع الإستقلال الوطني للجزائر، وكذلك انتمائه الطبقي والأيدولوجي وفضائه الثقافي، بالإضافة إلى منهجه العلمي والظروف المحيطة ببحثه وكتابه وهدفه منها. وسنحاول الآن إبراز مدى تأثير هذه العوامل في خطابه التاريخي.

#### 1- شخصيته و مساره النضالي<sup>(4)</sup>

ولد محمد حربي عام 1933م بالحروش أين زاول دراسته الابتدائية في المدرسة الفرنسية، وبدأ احتكاكه بالحركة الوطنية الإستقلالية الممثلة في الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية بعد انتقاله إلى الدراسة الثانوية بمعهد دومنيك لوسيان في سكيكدة بعد الحرب العالمية الثانية، وأصبح عضوا في خلية الحزب بهذا المعهد عام 1950م، وبعد عام أصبح مسؤولا عليها خلفا لعبد الحميد معطى الله، كما كان له نشاطا نقابيا بارزا في مدينة سكيكدة، ويدخل ذلك في إطار إستراتيجية الحزب الجديدة في اكتساب الطبقة العاملة وعدم ترك الساحة شاغرة للحزب الشيوعي الجزائري، وبعد رسوبه في امتحان بكالوريا فلسفة أرسله أبوه إلى فرنسا عام 1952م بهدف مواصلة الدراسة في كوليج سانت بارب Saint Barbe بباريس، لقد أستهدف أبوه من ذلك أيضا إبعاده عن النشاط السياسي المعارض للسلطات الإستعمارية، لأن هذا النشاط أقلق أباه وأسرته لأنه يهدد نفوذها الذي أكتسبته من علاقتهما بالإدارة الإستعمارية في كل من الحروش وسكيكدة. ولم يكن أباه يعلم أنه بذلك قد قربه أكثر من قيادات الحزب التي يوجد العديد منها في فرنسا آنذاك، فاحتك هناك بالعديد من المناضلين، ومنهم محمد يزيد وبن يوسف بن خدة وصالح الوانشي ومحمد بوضياف وديدوش مراد وغيرهم، كما كان له نشاطا بارزا في صفوف فيدرالية فرنسا لحزب الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية بالإضافة إلى نشاطه الطلابي بعد دخوله الجامعة حيث تولى منصب أمين عام وداية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا عامي 1953م و1954م.

عاش محمد حربي عن قرب أزمة الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية عام 1953م بحكم قربته الشديد من قيادات الحزب المتصارعين سواء كانوا مصاليين أو مركزيين، وقد وقف إلى جانب هؤلاء الأخيرين، وشارك في مؤتمريهم عام 1954م، ويفسر موقفه هذا بقوله: "وجدت لدى المركزيين إطارا للتعبير عن أفكارهم بحرية تامة ودون أن توصف بالأفكار

الشيطنانية" عكس مايقع عند المصاليين الذين "يعاقبون ويشوهون كل من لا يتبع الزعيم بشكل أعمى في كل ما يقوله"<sup>(5)</sup>.

عند إندلاع الثورة المسلحة كان محمد حربي مطاردا من البوليس الفرنسي لأنه أعتبر هاربا من الخدمة العسكرية في الجيش، وبقي متنخفا إلى أن التحق بالثورة المسلحة عام 1956م، أي في نفس الفترة التي قرر فيه المركزيون الإنضمام إلى جبهة التحرير الوطني، وقد تولى أثناء الثورة المسلحة عدة مسؤوليات، منها عضو لجنة الإعلام والأخبار التابعة لفيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا قبل أن يتولى رئاستها، فأصبح بذلك عضوا في لجنة فيدرالية فرنسا التي يرأسها عمر بوداود، واستقال منها عام 1958م لأنه لم يكن يتفق تماما مع بوداود الذي كان ينظر إليه بعين الريبة والشك بدعوى أنه شيوعي. وكان من المفروض أن يلتحق بوزارة الأخبار بتونس بعد أن طلب منه ذلك محمد يزيد الذي كان على رأسها، لكنه وجد نفسه في الأخير مسؤولا على الديوان المدني لوزارة القوات المسلحة بعد أن ألح على ذلك كريم بلقاسم الذي كان على رأسها، واستغرب محمد حربي هذا الإلحاح لأنه كان يعلم أن كريم بلقاسم لا يَكُنْ له أي ودّ لأنه كان شديد النفور من الشيوعيين، وأنه كان وراء محاولات إبعاده من لجنة فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، ويقول حربي أن كريم بلقاسم أستهدف من ضمه إلى وزارته تحقيق غرضين وهما إكتساب العقيد علي كافي إلى جانبه في إطار الصراع بين الباءات الثلاث (بلقاسم كريم، بن طوبال لخضر، بوصوف عبدالحفيظ) لأن كافي هو خال حربي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أراد كريم أن يوظف حربي كعين له تراقب تحركات علي كافي<sup>(6)</sup>، ويبقى هذا التفسير في نظرنا مجرد تخمينات محمد حربي الذي لا يرتاح بتاتا إلى كريم بلقاسم وعدد كبير من المناضلين الذين ينحدرون من منطقة القبائل، ويعود ذلك إلى تأثير الفضاء الثقافي والتربوي الذي ترعرع فيه حربي كما سنبين ذلك بالتفصيل فيما بعد.

استمر محمد حربي يعمل تحت رئاسة كريم بلقاسم، وبقي على ذلك حتى عندما أصبح هذا الأخير وزيرا للخارجية عام 1960، فتولى حربي فيها عدة مناصب هامة، ومنها رئاسة قسم بلدان الشرق الشيوعي بالوزارة ثم إدارة قسم الإعلام فيها، فربط بذلك علاقات وطيدة بالصحف الصادرة في مصر آنذاك، كما مثل جبهة التحرير الوطني في منظمة تضامن الشعوب الآفرو-آسيوية والمؤتمر الدولي للسلام، وكلف أيضا بمهمة خاصة في غينيا. وبعد أن أخذ سعد

دحلب مكان كريم بلقلم على رأس وزارة الخارجية عام 1961م ارتقى محمد حربي إلى منسق للإدارة المركزية لهذه الوزارة، ويقول حربي أن دحلب قد أعترف له بأنه كان يرغب توليته الأمانة العامة للوزارة إلا أنه كان يعلم مسبقاً أن عبد الحفيظ بوصوف سيقف ضد هذا التعيين لأن هذا المنصب من اختصاص مجلس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية<sup>(7)</sup>، ويعود موقف بوصوف المعادي لحربي حسب ما يبدو إلى الصراع الذي كان قائماً بين الباءات الثلاث، وكان حربي يحسب على علي كافي الذي كان بدوره حليفاً لبن طوبال ثالث هؤلاء الباءات. وقد شارك حربي في هذه الفترة كعضو في وفد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في مؤتمر حركة عدم الإنحياز ببلغراد عام 1961، كما ترأس لجنة الخبراء في مفاوضات إيفيان الأولى.

بعد إسترجاع الإستقلال الوطني تم تعيينه كمساعد لمحمد بوضياف الذي كان أميناً عاماً للشؤون الخارجية في المكتب السياسي لجهة التحرير الوطني، ويبدو أنه كان عين بن بللة على خصمه اللدود بوضياف، ويكون قد كلفه بن بللة بمهمة شق صفوف مجموعة تيزي وزو التي تضم بوضياف وكريم بلقاسم، والتي كانت في مواجهة مجموعة تلمسان التي يقودها بن بللة وبومدين أثناء أزمة صيف 1962م، وما يدفعنا إلى هذا الطرح هو إقرار حربي ذاته من أنه حاول إقناع بوضياف بالابتعاد عن كريم بلقاسم لأن بن بللة لن يغفر له بتاتا تحالفه مع عبان رمضان ضده عام 1956م<sup>(8)</sup>.

حاول حربي في مذكراته أن لا يتحدث كثيراً عن أزمة صيف 1962م، وأحاط موقفه منها بنوع من الغموض، وأنه كان مع بن بللة لكنه ضد هواري بومدين، إلا أنه في الحقيقة كان معهم لعدة أسباب ومنها أنه لا يمكن أن يقف إلى جانب كريم بلقاسم لأنه من منطقة القبائل، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن حربي كان انتهازياً مثل أغلب المثقفين حتى ولو حاول تبرير مواقفه بإيديولوجيته والبرامج التي تخدم الكادحين مثل قوله أنه التحق بين بللة بعد إصداره قانون الإصلاح الزراعي عام 1963م<sup>(9)</sup>.

لقد كان محمد حربي تأثيراً كبيراً وفعالاً في نظام الرئيس أحمد بن بللة وتوجهاته بداية من مشاركته في صياغة ميثاق طرابلس عام 1962م ثم ميثاق الجزائر 1964م، كما كان أحد البارزين فيما يعرف بـ"يسار جبهة التحرير الوطني" آنذاك، ولا نستبعد أن يكون وراء استخدام زعيم الأمة الرابعة اليوناني التروتسكي ميشل رابتييس المدعو بابلو، والذي قال عنه

هواري بومدين فيما بعد أنه جاء مع ماركسيين آخرين لتجريب أفكارهم على المجتمع الجزائري، وكشف بومدين أن رابتييس كان يتقاضى أجره تقدر بمليون فرنك فرنسي قديم في الوقت الذي لم تتجاوز فيه أجره الفلاح الجزائري 500 فرنك فرنسي قديم<sup>(10)</sup>.

ألقى نظام بومدين القبض على محمد حربي بعد إنقلاب 19 جوان 1965م بسبب تورط هذا الأخير في إنشاء منظمة المقاومة الشعبية الشيوعية، والتي كانت تنوي القيام بأعمال إرهابية ضد نظام بومدين. وبقي حربي في السجن مدة خمس سنوات ثم وضع تحت الإقامة الجبرية، وفي عام 1973م تمكن من الهروب من الجزائر ليستقر بفرنسا، وواصل دراساته الجامعية في التاريخ ليتحصل على دكتوراة الحلقة الثالثة بموضوع حول جذور جبهة التحرير الوطني مركزا على أزمة الحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطية 1953م<sup>(11)</sup>، ثم تحصل على دكتوراة دولة بموضوع حول الثورة الجزائرية، وقد نشر عام 1980م تحت عنوان "جبهة التحرير الوطني بين السراب والواقع"<sup>(12)</sup>، ويعد هذا الكتاب من أشهر وأبرز أعمال المؤرخ محمد حربي على الإطلاق، وقد نشر حربي كتابا تاريخية أخرى في الوقت الذي زاول فيه مهمة تدريس التاريخ في جامعة باريس 8، ومن هذه الكتب "الحرب تبدأ في الجزائر" عام 1984م<sup>(13)</sup> و"الجزائر ومصيرها" عام 1992م<sup>(14)</sup>، كما نشر عام 1981م "أرشيف الثورة الجزائرية"، وهو عبارة عن وثائق سبق أن جمعها وأستند على العديد منها في أطروحته لنيل دكتوراة<sup>(15)</sup>.

يتبين لنا مما سبق أن محمد حربي قد أهتم في كتاباته التاريخية حول الجزائر بفترة عايش أحداثها ملاحظا ومشاركا فيها، كما عرف العديد من صناعات هذه الأحداث عن قرب، فممكنه ذلك من الحصول على كم هائل من المعلومات والوثائق، لكن هذه المشاركة لها تأثير سلبي على قراءاته وتفسيره لهذه الأحداث بالإضافة إلى توظيفه للمعلومات والوثائق الموجودة بحوزته، هذا ما يظهر جليا مثلا من مواقفه وتصويره لبعض الشخصيات التي اختلف معها كبوصوف وكريم بلقاسم وعمر بوداود وهواري بومدين على سبيل المثال لا الحصر، فركز على ما يراه سلبيا فيهم، هذا إن لم تكن العديد من هذه السلبيات من صنع خياله، ونجد عكس ذلك على الإطلاق عندما يتحدث مثلا عن علي كافي وابن طوبال. ونلاحظ نفس الأمر عند حديثه عن التنظيمات التي كانت موجودة قبل إندلاع الثورة المسلحة وبخاصة جمعية العلماء المسلمين



الجزائريين والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، فاعتبر مواقفها سلبية تجاه الإستعمار الفرنسي إن لم يقل أنها متحالفة معه، أما الحزب الشيوعي الجزائري فقد شفع له نوعا ما تقاربه الإيديولوجي معه، كما سنرى فيما بعد عندما نتطرق إلى تأثير انتمائه الإيديولوجي على خطابه التاريخي. إن النضال الحزبي لمحمد حربي في الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية التي كانت على إختلاف مع التنظيمات الجزائرية الأخرى منعتة من أن ينظر بموضوعية إلى هذه التنظيمات أو الغوص في أعماقها لعله يكتشف عكس ما تمليه عليه الشحنة العاطفية العدائية التي غرسها فيه خطاب قيادات حزبه ضد التنظيمات الأخرى وهو مناضل صغير ومبتدئ في هذا الحزب. إن هذه الظاهرة نجدها اليوم لدى أغلب إن لم نقل جل الذين أنضوا تحت راية هذا التنظيم حتى إندلاع الثورة المسلحة.

هذا قليل جدا من الكثير من الحالات التي تبين لنا مدى التأثير السلبي لشخصية محمد حربي ومساره السياسي والنضالي على خطابه التاريخي، والتي يجب على القاريء والمؤرخ أن يأخذها بعين الإعتبار، ويبرز لنا ذلك مدى حاجتنا إلى نقد علمي عميق لهذا الخطاب التاريخي على يد مختصين في العلم الذي أطلقنا عليه "علم النقد التاريخي".

## 2- تأثير إنتمائه الطبقي:

يلاحظ المتمعن بعمق في الخطاب التاريخي لمحمد حربي حول الثورة الجزائرية و جذورها أنه ينظر إلى قاعدتها الإجتماعية نظرة إزدوائية متسترة، فيصفها بالشعبوية، ويغلب عليها العاطفة الدينية والجهالة، ولا تمتلك أي روح نقدية، وهي حاقدة على كل أوروبي لأنه كافر، وتنظر بنفس النظرة إلى كل جزائري يتشبه بهم أو يبدر منه سلوك يشبه سلوك الأوروبي، كما تكن عداوا للمثقف الذي تخرج من المدرسة الإستعمارية، كما هي على إستعداد للإمعان في القتل والذبح<sup>(16)</sup>.

ليس هذا معناه أن محمد حربي يشير إلى هذه الصفات بشكل صريح، بل هو يستخدم أسلوب التماهي بشكل تجعل القاريء المستسلم أو الخايد لكتبه خاصة كتابه "جبهة التحرير الوطني بين السراب والواقع" تتشكل في ذهنه الصورة أو الصفات التي ذكرناها آنفا حول القاعدة الإجتماعية للثورة.

يحتفي وراء هذا الإزدراء المستتر الذي يكنه محمد حربي للقاعدة الإجتماعية للثورة إنتمائته الطبقي، فهو ينحدر من أسرة غنية أكتسبت ثروتها في أواخر العهد العثماني، وذلك عندما أعطى العثمانيون آراض خصبة لقبيلته بني مهناسن مقابل أن تصح من قبائل المخزن التي كانت دائمة الوقوف إلى جانب السلطة العثمانية في الجزائر ضد القبائل التي ترفض دفع الضرائب لهذه السلطة<sup>(17)</sup>.

وحافظت أسرة حربي على هذا النفوذ المالي أثناء العهد الإستعماري بحكم ربطها علاقات وطيدة بالسلطات الإستعمارية، وقد حقق لها ذلك نفوذا سياسيا في الحروش، والذي تدعم أكثر بالنفوذ الديني لأسرة أمه التي تنتمي لعائلة كافي أي أسرة العقيد علي كافي الذي تولى قيادة الولاية الثانية أي الشمال القسنطيني بعد بن طوبال الذي أصبح عضوا في مجلس التنسيق والتنفيذ للثورة وأحد الباءات الثلاث.

فمن الطبيعي أن يحتقر و يزدري محمد حربي البسطاء من الناس والفلاحين وعمال الأرض الذين كانوا يشكلون القاعدة الإجتماعية للثورة الجزائرية، وكيف لا يكون كذلك وهو كان يرى بأم عينيه وهو طفل صغير كيف كان يعامل جده عينة من هؤلاء البسطاء الذين كانوا خدما له ولأسرته.

لكن لم يأخذ هذا الإحتقار والإزدراء لدى محمد حربي طابعا طبقيا بل أختفى وراء طابع ثقافي أي أحتقار المثقف لغير المثقف، وغرابة الأمر أنه أشار إلى هذا النوع من الطبقية التي تختفي في طابع ثقافي عندما قال عن المركزيين الذين كانوا يصفون مصالي الحاج بعدم الثقافة والكفاءة بأنه "لا يمكن لنا إلا أن ننظر إلى وراء هذه الأحكام نظرة طبقية"<sup>(18)</sup>، لكنه لم ينتبه إلى أن نفس الأمر ينطبق على نظرتة إلى القاعدة الإجتماعية للثورة الجزائرية، ولو قام بنقد علمي لأبحاثه قبل صياغتها النهائية وأخذ بعين الإعتبار إمكانية تأثير إنتمائته الطبقي على خطابه لتفطن إلى هذه المواقف الإحتقارية تجاه قاعدة الثورة الجزائرية، ويمكن أن يتساءل البعض لماذا أخذ هذا الموقف طابعا ثقافيا وليس طابعا طبقيا ؟ فنقول أن ذلك يعود إلى الأيديولوجية الماركسية التي ينتمي إليها محمد حربي، والتي كان لها تأثيرا على خطابه التاريخي كما سنرى الآن، لكن نشير قبل ذلك إلى أن هذه الظاهرة منتشرة بقوة لدى الطبقة البرجوازية والمثقفة الماركسية، وهذا

الإحتقار للبسطاء هو الذي يحتفي وراء فكرة حزب شيوعي طلائعي يجسد مصالح طبقة البروليتاريا لكن بقيادة نخبة من المثقفين الماركسيين،  
3- فضائه الثقافي واللغوي:

يجب على القارئ أو المؤرخ أن يضع في حسابه عند قراءة أو توظيف خطاب تاريخي ما الفضاء الثقافي الذي نشأ فيه صاحب الخطاب، ويركز بشكل أخص على الصورة التي يحملها عن الآخر الذي كتب عنه، والتي عادة ما تتشكل لديه منذ الصغر ومن خلال فضائه الثقافي، فالمؤرخ الأوروبي مثلا يحمل صورة غير سليمة 100% مثلا عن المجتمعات الإسلامية مهما ادعى من علمية و موضوعية، فهو يتأثر بشكل أو بآخر بالصورة التي تلقاها عنها سواء في المدرسة أو الأسرة أو عن طريق قراءاته ووسائل الإعلام، لكن تختلف نسبة التأثير بهذه الصورة المشوهة من مؤرخ إلى آخر.

وينطبق نفس الأمر على المؤرخ الجزائري عندما يكتب عن المجتمعات الغربية، لكن بشكل عكسي، إلا أن مصيبة هذا المؤرخ الجزائري أنه يحمل في غالب الأحيان صورة مشوهة وغير سليمة 100% عن سكان مناطق أخرى من بلاده الجزائر دون منطقتيه طبعاً، فتؤثر تلك الصورة على كتاباته عن هذه المناطق الأخرى وسكانها، وعلينا أن نشير أن سكان مناطق القبائل ومزاب والأوراس قد أخذت حصة الأسد من هذا التشويه في الصورة لدى سكان المناطق الأخرى، وتعود هذه الصورة المشوهة عنهم إلى عوامل تاريخية وأسباب أخرى ليس هنا موضوع التطرق إليها.

تبين لنا الدراسة العميقة والنقدية للخطاب التاريخي عند محمد حربي بأن هذا الأخير لم يتمكن من التخلص من فضائه الثقافي والصورة التي يحملها عن سكان المناطق الأخرى خاصة منطقة القبائل، فيلاحظ مثلا القارئ أنه في الوقت الذي يحاول فيه أن يبرر إنسحاب مجموعة قسنطينية من إجتماع الأثني والعشرين في حي المدينة، فإنه يحاول أن يرسخ في الأذهان أن كريم بلقاسم وجماعته قد لجأت إلى التمرد العسكري على السلطات الإستعمارية قبل سبع سنوات من إندلاع الثورة تحت دوافع عائلية أكثر مما هي وطنية<sup>(19)</sup>. ومثال آخر عن ذلك هو عند تطرقه إلى عدد المجاهدين في كل المناطق في بداية الثورة، فبالرغم من أن كل تلك الأعداد قد وردت في محضر مؤتمر الصومام الذي أستند عليه، فإنه بالنسبة لمنطقة القبائل - التي وردت في

المحضر أن فيها العدد الأكبر- قد ذكر نفس العدد الذي ورد في المحضر، ولكن بإضافة عبارة "حسب كريم بلقاسم" دون الإشارة إلى المصدر الأصلي وهو محضر المؤتمر<sup>(20)</sup>، وهدفه من ذلك واضح كل الوضوح وهو إثارة الشك في هذا العدد لدى القاريء العادي الذي لم يطلع على محضر مؤتمر الصومام، ولا يسعنا إلا القول أن دافعه في ذلك هو الجهوية وإخفاء مزايا سكان منطقة القبائل مقابل تضخيم سلبياتهم، فنجد خطابه التاريخي مليء بصور غير موضوعية عن أغلب القادة المنحدرين من منطقة القبائل، وقد أخذ كريم بلقاسم ومحمدي السعيد وعميروش آيت حمودة ومسؤولي فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا وعلى رأسهم عمر بوداود حصة الأسد من النقد، ويظهر ذلك بوضوح أشد في الجزء الأول من مذكراته<sup>(21)</sup>، فلم يختلف حربي بتاتا عن الصورة التي أعطاها قريبه وحاميه العقيد علي كافي في مذكراته عن أغلب القادة المنحدرين من منطقة القبائل<sup>(22)</sup>.

ويلاحظ القاريء المتمعن لمذكرات محمد حربي أنه كلما تحدث عن هؤلاء القادة المنحدرين من منطقة القبائل نجده يشير إلى صداقته لكل من مبروك بلحسين وعمر أو صديق الذان ينحدران من نفس المنطقة<sup>(23)</sup>، وكأن حربي يريد بذلك أن يدفع عن نفسه تهمة الإنحياز ضد هؤلاء القادة لأنهم ينحدرون من منطقة القبائل.

يمكن أن تكون بعض هذه المواقف نابعة من إختلافه مع بعض هؤلاء القادة مثل كريم بلقاسم وعمر بوداود، إلا أن ما يبدو لنا أنه خفي عن محمد حربي هو أن الكثير من مواقفه تلك كان مصدرها هي تلك الأحكام المسبقة الموجودة لدى المؤرخ، والتي ترسخت في ذهنه منذ كان طفلا، فماذا نتظر في هذه القضية من مؤرخ كانت تقول له أمه وهو صغير أن هؤلاء القبائل برانية أي أجنبية، بل لم تكن أمه تميز بينهم وبين اليهود فحملتهم مسؤولية أحداث قسنطينة 1934، وكان اليهودي الذي تبول في المسجد هو قبائلي، فهو بذلك كان سببا لتلك الأحداث<sup>(24)</sup>. نعتقد أن الصورة التي كانت تعطيها أم محمد حربي لابنها حول السكان القبائل قد ترسخت في لاشعوره، ولم يستطع التخلص منها لتتحول فيما بعد إلى أحكام مسبقة راسخة في مخياله، أثر بشكل أو بآخر على ممارساته ومواقفه ونظرته تجاه كل ما هو قبائلي.

تسود هذه الظاهرة لدى بعض سكان المناطق الناطقة بالعربية بما فيهم المفكرين والمؤرخين والأدباء، كما تسود أيضا لكن بشكل عكسي أي صورة مشوهة عن الناطقين

بالعربية لدى بعض سكان المناطق الناطقة بالبربرية كالأوراس ومزاب والقبائل، فما علينا إلا الدراسة العميقة للخطاب الأدبي والتاريخي والفكري الذي أنتجه مؤرخو وأدباء ومفكرو هذه المناطق لتؤكد مما قلناه.

ولم يكن المؤرخ محمد حربي بمنأى عن هذه التأثيرات، ونعتقد أنها شكلت عائقا إستمولوجيا وعرقلة عن قراءة موضوعية للأزمة البربرية عام 1949م مثلا، ومنعته من أن يدرك أن الذين أشعلوا فتيلها تصرفوا على أساس رد فعل منهم على شعور بالاستفزاز والعنصرية والإقصاء الثقافي واللغوي تجاههم<sup>(25)</sup>.

ومادما نتحدث عن مدى تأثير الفضاء الثقافي على الخطاب التاريخي لمحمد حربي علينا الإشارة إلى ضعف قدرته على القراءة باللغة العربية، وقد شكل ذلك لديه عائقا إستمولوجيا آخر منعته مثلا من العودة مباشرة إلى خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دون أي وساطة خاصة أعمال كل من علي مراد وندير ناير حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالفرنسية<sup>(26)</sup>. وقد كان هذا العائق وراء الأحكام الغير منصفة التي أصدرها على العديد من مواقف جمعية العلماء<sup>(27)</sup>، ولو أنه بإمكاننا القول أيضا أن إنتمائه الأيديولوجي كان وراء ذلك، والذي كان له تأثير سلبي على خطابه التاريخي كما سنرى الآن.

#### 4- إنتمائه الأيديولوجي:

يعترف محمد حربي أنه ماركسي ذو توجه تروتسكي، وقد بدأ إعجاباه بالتروتسكية عندما كان يدرس في ثانوية سكيكدة حيث تعرف على مبادئها الأولى على يد بيير سويري Pierre Souyri الذي درسه مادة التاريخ هناك عام 1949، وقد أصبح هذا الأخير معروفا فيما بعد ضمن التنظيمات التروتسكية العالمية، خاصة من خلال عضويته في هيئة تحرير المجلة التروتسكية الشهيرة "إشترابية أو باربرية Socialisme ou Barbarie"، وكان يكتب فيها تحت توقيع بيير برون Pierre Brune قبل أن ينشأ فيما بعد مجلة "السلطة العمالية Pouvoir Ouvrier"، وقد كان لهذا الأستاذ التروتسكي تأثيرا فكريا على العديد من الجزائريين الذين درسوا في معهد دومنيك لوسيان بسكيكدة آنذاك<sup>(28)</sup>.

وقد كان بيير سويري وراء إكتشافه الأدبيات الماركسية خاصة التروتسكية منها، لكن إنتقاله إلى فرنسا واحتكاكه بالعديد من الماركسيين هناك ومنهم دانييل غيران Daniel

Guerrin الذي كان أحد الذين دفعوه إلى التعمق أكثر في دراسة الأدبيات الماركسية، ولم يتخل محمد حربي عن تروتسكيته إلى حد اليوم<sup>(29)</sup>.

وقد كان لأيديولوجيته التروتسكية تأثيرا كبيرا على خطابه التاريخي، فهي التي سمحت له باكتشاف مايسمياها بـ"البرجوازية البيروقراطية" داخل نظام جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة وبعد إسترجاع الإستقلال<sup>(30)</sup>، كما ينظر إلى ماغاناه مصالي الحاج على يد ما يعتبرها بيروقراطية جبهة التحرير الوطني بنفس نظرتة إلى ماغاناه تروتسكي من قميمش وهوان على يد البيروقراطية الستالينية- حسب أدبيات التروتسكيين<sup>(31)</sup>. إن هذا الإسقاط هو الذي يحتفي وراء تعاطفه المستمر مع مصالي الحاج دون المصاليين ونقده اللاذع لممارسات جبهة التحرير الوطني التي عادة ما يشبهها بشكل غير مباشر بالممارسات الستالينية رغم إنتمائه إلى هذه الجبهة حتى عام 1965.

ويظهر مدى تأثير الإنتماء الأيديولوجي ل محمد حربي على خطابه التاريخي، ويأخذ ذلك شكلا فاضحا عندما يحاول إيجاد المبررات لمختلف مواقف الحزب الشيوعي الجزائري قبل وأثناء الثورة<sup>(32)</sup>. فبالرغم من أن الحزب هو حزبا ستالينيا معاد للتروتسكيين، إلا أن الإنتماء إلى نفس العائلة الأيديولوجية فرضت عليه ذلك الإنحياز المفصوح إلى جانب الحزب الشيوعي. وفي الوقت نفسه يلاحظ القاريء لخطاب حربي التاريخي مدى تحامله على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مركزا على المواقف التي يعتبرها سلبية عكس ما يقوم به مع مواقف الحزب الشيوعي، وبلغ إنحيازه إلى درجة القول أن العلماء هم الآخرون الذين ألتحقوا بالثورة دون أن يلتفت إلى العديد من أفراد قاعدتها الذين ألتحقوا قبل حل جمعية العلماء بعدة شهور في الوقت الذي يركز فيه على بضعة أفراد من الشيوعيين يقول أنهم ألتحقوا بالثورة في الأوراس، ويظهر إنحيازه أيضا في قوله الغريب الذي يحمل مغالطة، وذلك عندما يقول أن العلماء لم يدعوا قط إلى الإستقلال لكن الشيوعيين على الأقل لم يكونو ضد الإستقلال<sup>(33)</sup>، ويوحى هذا القول للقاريء غير العارف بالخلفيات أن العلماء كانوا ضد الإستقلال عكس الشيوعيين.

إن هذا قليل من كثير من الأمثلة التي تبين لنا مدى تأثير الإنتماء الأيديولوجي ل محمد حربي على خطابه التاريخي، كما كان لهذا الإنتماء التروتسكي تأثيرا على المنهج الذي يستخدمه في أبحاثه التاريخية، والذي من المفروض أن يقوم صاحب البحث ذاته بعملية نقده قبل أن يقوم

بذلك المختص في علم نقد البحث التاريخي، فما هو المنهج الذي يستند عليه المؤرخ محمد حربي؟ وهل يصلح للبحث في تاريخ الثورة الجزائرية؟ وأين تكمن نقاط قوته وضعفه؟

5- منهجه التاريخي:

يستخدم المؤرخ محمد حربي المنهج المتعارف عليه في بحثه التاريخي، وقد سبق لنا أن تطرقنا إلى كيفية حصوله على المعلومات عند تناولنا مساره النضالي والسياسي في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، فلا نناقش حربي في أسلوبه وطريقة تنظيمه وصياغته لمعلوماته، لكن سنناقشه في المنهج الذي أعتمده في تفسيره للأحداث.

فقد أعتمد على المنهج الماركسي في ذلك، فمواقف العلماء وجماعة فرحات عباس مثلا تحركها و تتحكم فيها المصالح الطبقية البرجوازية بحكم إنتمائهم إلى هذه الطبقة - حسب محمد حربي-<sup>(34)</sup>. ويقول أنه لم يعتمد على المنهج الماركسي التقليدي الذي يركز على العامل الإقتصادي فقط بل "حاولت أن آخذ العوامل الثقافية بعين الاعتبار بالنسبة للمجتمع الجزائري"<sup>(35)</sup>، وهو في الحقيقة لم يدخل بذلك أي تعديل على المنهج الماركسي التقليدي كما يدعي، بل كان أكثر وفاء لهذا المنهج الذي لا يقصي في حقيقته العوامل الأخرى، بل فقط يعتبر العامل الإقتصادي عاملا رئيسيا ضمن عدة عوامل أخرى، وقد وضع فرديريك أنجلز ذلك في أواخر حياته، حيث كتب يقول إنه: "حسب المفهوم المادي للتاريخ، فإن العامل الحاسم فيه في آخر المطاف هو العامل الإقتصادي، لكن لم نقل لا أنا ولا ماركس أنه العامل الوحيد، فإذا جاء أحد فيما بعد وحرف قولنا وقال أن العامل الإقتصادي هو العامل الحاسم الوحيد، فقد حول ما قلناه إلى كلام فارغ لا معنى له"<sup>(36)</sup>.

فلم يأت حربي إذا بشيء جديد خارج المنهج الماركسي التقليدي، ورغم ذلك فقد غلب الصراع الطبقي في تفسيره للكثير من المواقف والأحداث في خطابه التاريخي حول الجزائر، كما كان حربي وفيما لثروتسكيته عندما حاول فهم وتفسير عملية تطور جبهة التحرير الوطني بالإستناد على فكرة تحول قادة التنظيم من بسطاء أو ما يسميه بالعامية إلى برجوازية بيروقراطية تدافع عن مصالحها<sup>(37)</sup>. وقد تأثر في تفسيراته تلك بالثروتسكيين الذين يفسرون ويقومون بتحليل تحولات الأحزاب الشيوعية الستالينية في الإتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية،

و التي برزت بجلاء في مجلتهم "باربرية وإشتراكية Socialisme ou Barbarie" التي ظهرت عام 1949م.

لكن السؤال المطروح هو هل تصلح المناهج الماركسية لتفسير تاريخ المجتمع الجزائري خاصة والمجتمعات الإسلامية عامة ؟ ألم يقع الماركسيون ذاقم في مأزق عندما اكتشفوا أن تطور أساليب وأنماط الإنتاج في هذه البلدان لم يكن بنفس الطريقة التي تم بها في البلدان الأوروبية، فلجأوا إلى القول بنمط إنتاج آسيوي خاص بهذه المجتمعات؟<sup>(38)</sup>. فإن كان حربي يتحدث عن طبقة برجوازية، فهل فعلا وجدت هذه الطبقة في الجزائر آنذاك بكل خصائصها ؟ فحتى ولو تجاوزنا على ذلك كله، فإنه كي نطبق المنهج التاريخي الماركسي يجب علينا في البداية أن نوضح ونحاول أن نكتشف أسلوب و علاقات الإنتاج السائدة في المجتمع الجزائري آنذاك. فهل كان أسلوبيا رأسماليا فعلا مما يسمح لنا بالحديث عن طبقات برجوازية وبروليتارية ؟ أم أن هناك خليطا من أنماط وأساليب الإنتاج تعيش جنبا إلى جنب ؟ إن الإجابة على ذلك هو شرط ضروري لتطبيق المنهج التاريخي الماركسي، لكن غابت الإشارة إلى ذلك تماما في أبحاثه، فلو قام بذلك لأكتشف أن منهجه التفسيري الماركسي غير صالح للتطبيق كما هو على المجتمع الجزائري آنذاك، ونعتقد أن هذه هي نقطة الضعف الأساسية في منهجه، ولانعلم إن تجاهل عدم التطرق إلى أسلوب وعلاقات الإنتاج دون قصد منه أم عمدا كي لا يناقض المنهج التاريخي الماركسي الذي يتماشى مع أيديولوجيته، والإجابة على ذلك تحتاج إلى بحث أعمق ليس هنا مكانه. ولم يبق لنا الآن إلا التطرق إلى الظروف التي أحاطت به أثناء عملية البحث وصياغته النهائية، والذي نعتبره عاملا شديدا التأثير في أي خطاب تاريخي كان.

6- الظروف المحيطة به أثناء إنجاز أعماله التاريخية: كنا نتمنى أن يكون محمد حربي قد نشر الجزء الثاني من مذكراته، والتي تغطي فترة ما بعد إسترجاع الإستقلال، لأن ذلك من شأنه أن يساعدنا على معرفة ولو جزء من الظروف التي كانت تحيط به أثناء إنجاز وصياغة كل بحث من مختلف أبحاثه التاريخية، ولأن ذلك كفيل بإكتشاف عامل ذاتي شديد التأثير على خطابه التاريخي ويفقده بعض الموضوعية إن لم يأخذ المؤرخ حذره منه عند الصياغة النهائية لعمله.

لكن رغم ذلك سنحاول التطرق بإيجاز إلى بعض الظروف التي تكون قد أحاطت بكل بحث من أبحاث المؤرخ محمد حربي حول الجزائر وثورتها. فبشأن بحثه الأول حول جذور جبهة



التحرير الوطني فقد أنجزه عام 1975 أي مباشرة بعد خروجه من الجزائر التي كان يحكمها نظام كان وراء سجنه و تعذيبه، و لهذا يمكن لنا القول أنه بالإضافة إلى رغبته آنذاك في المساهمة في كتابة تاريخ الجزائر والحصول على الشهادة الجامعية، إلا أنه بكل تأكيد يكون قد وضع نصب عينيه الكشف للعامة والخاصة أن حكام الجزائر آنذاك لا يمتلكون أي شرعية تاريخية مادامنا لا نجد ذكرا لأي شخص من عناصر هذا النظام الذي يحكم الجزائر سواء عند تأسيس جبهة التحرير الوطني أو في المرحلة التي سبقت ذلك، خاصة وأن هذا الغياب كان يشكل عقدة نقص لدى عناصر هذا النظام إلى درجة أنه منع ذكر الشخصيات التي ساهمت في إندلاع الثورة من قريب أو من بعيد، وهذا النظام كان وراء فكرة "الشعب هو البطل"، وهدفه من ذلك التغطية على غيابيه في إندلاع الثورة والتخلص من عقده أو العامل الذي يقلل من شرعيته.

أما كتابه الثاني "جبهة التحرير الوطني بين السراب والواقع" الذي أنجزه عام 1980 فقد جاء في ظروف خاصة بالنسبة للجزائر، ففي هذه الفترة توفي الرئيس هواري بومدين و انعقد المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني الذي كان يحضر له في عهد بومدين، وكان يرغب إعطائه صلاحيات ودور أوسع في صناعة القرار كي يتخلص من بعض عناصر مجلس الثورة الذين أصبحوا يعرقلونه، كما أن بومدين أراد الإستناد على هذا التنظيم لدعم سلطته أكثر بعد ما سبق له أن همشه من قبل.

ويبدو لنا أن هذا الظرف له تأثير على عمل محمد حربي، فبالرغم من أنه يقول في مقدمة كتابه أن أحد أهدافه منه تقديم قراءة تختلف عن القراءة الرسمية لتاريخ الثورة الجزائرية، إلا أنه حاول أيضا من خلال كتابه إبراز كيفية تحول جبهة التحرير الوطني من تنظيم ثوري إلى مجرد جهاز تستخدمه البرجوازية البيروقراطية لخدمة مصالحها الطبقية على حساب الشعب البسيط الذي ضحى من أجل إسترجاع الإستقلال، وكان حربي أراد بذلك فضح ما يعتبره توجهها ستالينية للنظام الجزائري آنذاك، وأن رغبة هذا النظام في تدعيم الحزب هو في الحقيقة دعم للستالينية والبرجوازية البيروقراطية وليس خدمة للعمال والفلاحين كما كان يدعي هذا النظام. فكان حربي في حقيقة الأمر يعبر عن موقف سياسي معارض لنظام بومدين لكن بواسطة الكتابة التاريخية. كما سعى أيضا محمد حربي في كتابه إلى نزع كل القداسة التي أحيطت بالثورة

ورجالاً، فكان كثير التركيز على مختلف الصراعات و المؤامرات التي كان تحيكتها مختلف العناصر فيما بينها، وكان شديد التركيز نوعاً ما وبأسلوب ذكي على الشخصيات التي أصبحت تحكم إلى جانب بومدين في الجزائر.

ولكي يعطي محمد حربي مصداقية أكثر لكتابه "جبهة التحرير الوطني بين السراب والواقع"، وكي يكون له تأثير أكبر فإنه عمد إلى نشر كما كبيرا من الوثائق التي يقول أنه اعتمد عليها عند وضعه هذا الكتاب، فكان ذلك وراء ظهور كتابه "أرشيف الثورة الجزائرية" عام 1981، والذي ضمنه أكثر من مئة وثيقة.

وفي عام 1992 نشر له كتاب "الجزائر ومصيرها: مواطنون أم مؤمنون"، وهو عبارة عن مجموعة دراسات عمق فيها البحث في بعض القضايا الذي سبق له أن تطرق إليها في كتبه السابقة. لكن يلاحظ فيها مدى إرتباط واقع الجزائر آنذاك بهذه الدراسات، ويبدأ ذلك من العنوان الذي يتساءل فيه مواطنون أم مؤمنون؟، وقد أملى عليه ذلك البروز القوي للتيارات الإسلامية في الجزائر في أواخر الثمانينات وفترة التسعينات، وإن كان لا يجب أن يغيب عن ذهننا مدى التأثير التي تركه في نفسية حربي ذلك الخلاف حول إضافة كلمة "المسلمون" عند إنشاء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وكان هو معارضا لذلك لأنه كان يدرك ما تحمله الكلمة من دلالات وتأثيرات فيما بعد على المواطنة وقانون الجنسية ومصير الغير مسلمين في دولة الإستقلال<sup>(39)</sup>، وكان بروز التيارات الإسلامية والخوف من إستيلائها على السلطة أعادت إلى ذهن حربي ذلك النقاش الذي دار داخل التنظيم الطلابي أثناء الثورة المسلحة حول حرف الميم، وحق الطلبة غير المسلمين في الإنضمام إلى هذا التنظيم ورفض جبهة التحرير الوطني ذلك، فكأن حربي أراد القول أن هناك تشابها بين تلك الفترة واليوم، وأن هذه الأحداث المستجدة التي عرفتها الجزائر في التسعينات قد أعطت له الحق بعد أكثر من أربع وأربعين سنة، وأراد أن يذكر كيف أنه كاد أن يفقد حياته من أجل أفكاره آنذاك، وبعبارة مختصرة أراد بذلك أن ينتقم تاريخيا من خصومه الطلاب أثناء الثورة المسلحة، وعلى رأسهم بلعيد عبد السلام وأحمد طالب الإبراهيمي والعياشي ياكرو ومسعود آيت شعلال وغيرهم الكثير.

أما كتابه "الحرب تبدأ في الجزائر" الذي نشره عام 1984، فقد وضعه بطلب من دار نشر Editions Complexes البلجيكية التي كانت تنشر سلسلة كتب بعنوان "ذاكرة القرن"، ويخصص كل واحد منها لأحد الأحداث الكبرى التي عرفها القرن العشرين، ويقدم الحدث بشكل مبسط ومختصر، ولهذا جاء هذا الكتاب بشكل سطحي، ولم تسمح شروط نشره بتعمق أكثر، لكن رغم ذلك فإنه يحتوي على معلومات هامة، ولم يخل من مختلف التأثيرات التي ذكرناها آنفا بالنسبة لأعماله الأخرى.

خاتمة: يتبين لنا مما سبق مدى تأثير عدة عوامل ذاتية على الخطاب التاريخي للمؤرخ محمد حربي، وكيف أنه لو قام بعملية نقد لأي عمل له قبل صياغته النهائية، وأخذ فيه بعين الاعتبار مختلف العوامل التي يمكن أن يكون لها تأثير سلبي على عمله لاقترب أكثر من الموضوعية، ومن المفروض على كل مؤرخ أن يقوم بهذه العملية النقدية قبل الصياغة النهائية لعمله، بل نذهب أبعد من ذلك فنقول إنه يجب على هذا المؤرخ أن يعرض نفسه على محلل نفسي ليكتشف خبايا نفسيته كي يعطي لعمله موضوعية أكثر لأن لنفسية المؤرخ والعوامل التي تطرقنا إليها آنفا تأثيرا بالغا على عملية البحث والخطاب التاريخي، ولا تكفي عملية كهذه بل لابد من عرض البحث على ما أسميتهم بالمختصين في علم نقد البحث التاريخي، وتجب علينا الإشارة إلى أن عمل هؤلاء يقع تحت تأثيرات عدة، لكن على الأقل تقربنا هذه المراحل التي أضفناها لعملية البحث التاريخي والطريقة التي أشرنا إليها في تمهيدنا من الموضوعية والعلمية بشكل كبير جدا.

#### الهوامش

1- أنظر حول هذا النقاش - Benoit Verhaegen، Introduction a l'Histoire immédiate -

2-Essai de méthodologie qualitative، ed Duculot، Bruxelles 1974 pp33-41

2- G.W.F.Hegel، La raison dans l'histoire-introduction a la

philosophie de l'histoire، traduit par Kostas Papaioannou، ed Plon Paris 1965

3- نشر حربي الجزء الأول من مذكراته التي توقف فيها عند عام 1962، و يمكن العودة إليها في: Mohammed Harbi،

Une vie debout -mémoire politique-(tome1:1945-1962)، Casbah éditions Alger 2001

- 4- أعتدنا في تتبع هذا المسار على الجزء الأول من مذكراته  
Ibid pp131-132 -5  
Ibid pp 255-261 -6  
Ibid pp338-339-7  
Ibid p374 -8  
Ibid pp368-371 -9
- 10- أنظر: لطفى الخولي، عن الثورة في الثورة و بالثورة -حوار مع بومدين -، منشورات حزب التجمع العربي البومديني الإسلامي، قسنطينة 1990 صص103-104
- 11- Mohammed Harbi، Aux origines du F.L.N.Le populisme révolutionnaire en Algerie، ed Christian Bourgois Paris -12  
Mohammed Harbi، Le F.L.N. mirages et réalité-des origines a la prise du pouvoir(1945-1962)، éditions Jeune Afrique، Paris 1980 Naqd-Enalأعتدنا في هذه الدراسة على طبعة  
Alger1993
- 13-Mohammed Harbi، La guerre commence en Algerie، Complexe editions، Bruxelles 1984
- 14-Mohammed Harbi، L'Algerie et son destin-croyants ou citoyens-ouvrent des pistes de recherches nouvelles، Arcantés éditions Paris 1992 أعتدنا في هذا الدراسة على طبعة  
Medias Associés Alger1994
- 15-Mohammed Harbi، Les archives de la révolution Algerienne، éditions Jeune Afrique، Paris 1981
- 16- أنظر على سبيل المثال ما كتبه في دراسته بعنوان"الوطنية الشعبية في Le F.L.N. و أنظر كذلك M.Harbi، l'Algerie et son destin، op-cit pp231-246 سكيكدة" في mirage et réalité، op-cit pp117-118 و une vie debout،op-cit p208
- 17-Ibid p10
- 18-M.Harbi، Le F.L.N.mirage et réalité، op-cit p98
- 19Ibid pp102-104
- 20Ibid p127 et p403
- 21- أنظر مثلا في  
M.Harbi،une vie debout،op-cit pp255-259 et p292 et pp298-299
- 22- عد إلى: مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري(1954-1962)، دار القصة للنشر الجزائر 1999
- 23-M.Harbi،une vie debout، op-cit p257 أنظر مثلا
- 24-تلقى نفس الصورة عن الميزابين أيضا  
Ibid أنظر  
pp37-38 et pp41-42
- 25- أنظر كل من Le F.L.N،mirage et réalité، op-cit pp60-65  
Algerie et son destin، op-cit pp74-83 و
- قارن بين قراءته لهذه القضية و قراءتنا لها في  
رايح لونيسي، دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعرفة الجزائر 2002 صص43-58

- 26 Ali Merad, Le réformisme Musulman en Algerie de 1925a1940-essai d'histoire religieuse et sociale, ed Mouton Paris 1967  
A.Nadir, Le mouvement réformiste Algerien, thèse de 3°cycle, université de Paris 1968 -27  
M.Harbi, Le F.L.N.mirage et réalité, op-cit p11 et pp136-137 -28  
M.Harbi, une vie debout, op-cit pp78-79  
-29 Ibid p111  
-30 M.Harbi, Le F.L.N.mirage et réalité, op-cit pp293-314  
Du M.T.L.D. au F.L.N., in Révolution Africaine n°40(2 novembre 1963) و كذلك إضافته لمذكرات مصالي الحاج في  
F.L.N., ed Lattès Paris 1982 و أنظر أيضا  
Le F.L.N.mirage et réalité, op-cit p6 -32 Ibid pp136-140  
-33 Ibid  
-34 Ibid pp21-22 مثلا في  
-35 M.Harbi, Questions de méthode: a propos de « Le F.L.N.mirage et réalité » in Revue Naqd-revue d'études et de critique sociale- n°2 Fevrier-Mai 1992 pp22-23 -36  
F.Engels, Etudes philosophiques, Paris 1961 p128  
-37 M.Harbi, Le F.L.N.mirage et réalité, op-cit pp293-314  
-38 أنظر حول نمط الإنتاج الآسيوي: جان شينو و آخرون، حول نمط الإنتاج الآسيوي، ترجمة جورج طرابيشي، دار الحقيقة بيروت 1972  
-39 أنظر حول هذا الموضوع في: M.Harbi, Une vie debout, op-cit pp160-161